

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ

قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرِي مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ

[ متفق عليه ]

إِنَّمَا

أداة حصر،

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ

هناك مثل شهير استخدمه دائماً، خمسمئة ليرة ملقاة على الأرض، مرّ شخص، وأمامها مصور واقف في زاوية، هذا الشخص انحنى، نظر إليها، وأخذها، ووضعها في جيبه، وتابع سيره، صورناه، وضعنا خمسمئة ليرة ثانية، مر شخص آخر، نظر إليها، فانحنى، والتقطها، ووضعها في جيبه، لو تشابهت الأعمال تشابهاً تاماً في شخصين رجلين في سن واحدة، في ملامح متشابهة، في مكان واحد، المبلغ نفسه، الانحناء واحد، الطول واحد، الاثنان يرتديان معطفاً، وضعنا هذا المبلغ في جيب المعطف، لو وازنا بين الصورتين لوجدنا العمل نفسه، الأول مؤمن نوى أن يأخذها ليدفعها إلى صاحبها، وتوجه إلى أقرب دكان، وذكر لصاحبها أن هناك مبلغاً وجدته في هذا المكان، وهذا عنواني، وهذا هاتفي، والثاني نوى أن يأكلها حراماً، فالعمل نفسه، عمل يرقى بصاحبه، وعمل يهوي بصاحبه في الهاوية .

ربما كان العمل في النهاية واحد، لكن هنا يرقى، وهنا يسفل، إنسان يقبض مالاً، إن قبضه حلالاً يرقى، وإن

كان حراماً يسفل،

العمل يقوم حصراً بنيته، إذاً أن تتأمل نيتك، وأن تراجع نيتك، وأن تفحص نيتك، وأن تدقق في نيتك شيء

خطير، قد يأتي الإنسان يوم القيامة بأعمال كالجبال، بنوايا ليست راقية،

قال تعالى :

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا

[ سورة الفرقان : ٢٣ ]

قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌّ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

[مسلم]

أنا أشعر أن موضوع الباعث، أو موضوع النية، أو موضوع الإخلاص من أخطر موضوعات الإسلام، لأنك وأنت مخلص ترقى بعمل قليل، وأنت غير مخلص تهوي بعمل كثير،

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ

لو وقفت في طريق مكة المدينة لرأيت مئات، بل ألوف، بل عشرات الألوف يسافرون من مكة إلى المدينة كل يوم، وهناك أشخاص في وقت ما سافروا من مكة إلى المدينة، فسموا مهاجرين، وأنتى الله عليهم، وأنتى رسول الله، ورضي الله عنهم بنص القرآن الكريم، الانتقال نفسه، الآن اذهب إلى مكة، واركب السيارة، وانتقل فيها إلى المدينة، هل أنت مهاجر؟

الإنسان قد يأتي مجلس العلم ليلتقي مع إنسان، أو قد يأتي مجلس العلم لشيء آخر غير طلب العلم، وقد يأتي إنسان مجلس العلم لا يبتغي من مجيئه إلا مرضاة الله عز وجل، شتان بين الوجوديين، شتان بين الحضوريين، شتان بين العاملين، شتان بين السعيين، مادامت النية لها كل هذه الخطورة، ولها كل هذا التأثير، تأثير ملحق، أو تأثير داعم،

فكل عمل بنية سيئة يتلاشى، وعمل آخر بنية طيبة يتنامى، إذاً يجب أن نركز على نيتنا، يجب أن نركز على إخلاصنا، وهناك بعض الآيات الكريمة المتعلقة بالإخلاص،

قال تعالى :

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا

[سورة الإنسان : ٩]

لاحظ، الذي يعلق أهمية كبيرة على رد فعل الناس اتجاهه يقول لك : يا أخي ليس هناك وفاء، ثمة جحود، ولوم، يتألم جداً، إذا لم يجد لعمله ثمرة عند الناس، يمكن أن نتوقع أن هذا الإنسان في نيته الخالصة خلل، فإنك إذا عملت عملاً ترضي الله به ما شأن الناس إن استجابوا أو لم يستجيبوا، إن شكروا أو لم يشكروا، إن قدروا أو لم يقدروا .

أنا لا أنسى هذا الموقف لسيدنا عمر حينما سأل أحد المرسلين الذين جاؤوا من القادسية، فقال هذا الرسول : مات خلق كثير، قال : من هم ؟ قال : إنك لا تعرفهم، فبكى عمر رضي الله عنه، قال : وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم، ومن أنا ؟ .

وهذا الكلام أسوقه لتعلموا أنه إذا عملت عملاً صالحاً، ولا أحد علم به، وما ضرك ألا يعلم به أحد إذا كان الله قد علمه، ما ضرك أن يجهل هذا العمل الناس إذا كان الله قد علمه، هذا الإخلاص، أن تكفي بالله، أن يجزئك علم الله عز وجل عن علم الناس، فلذلك استجداء المديح ضعف في الإخلاص،

**فليت تحلو و الحياة مريرة\*\*\*وليت ترضى والأنام غضاب**

**وليت الذي بيني وبينك عامر\*\*\* و بيني وبين العالمين خراب**

**إذا صح منك الوصل فالكل هين\*\*\*وكل الذي فوق التراب تراب**

هذا هو موقف المؤمن، بعض الأمثلة الموضحة، ما قولك أيها الأخ الكريم في أن الإخلاص أو علو النية، أو صدق النية، أو سمو النية، يقرب العلم الدنيوي إلى عبادة، العلم الدنيوي، الزواج، وهل تصدقون أن النية السيئة تقلب العبادة إلى جريمة ؟ قال تعالى :

**قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**

[سورة الماعون : ٤-٧]

رجل يصلي، توضأ، وصلى،

عمل دنيوي، تجارة، زواج، كسب مال إذا رافقته نية عالية يصبح عبادةً، وعمل عبادي محض إذا رافقه الرياء يصبح جريمة، يستحق أن يقول الله لصاحبه : ويل لك، أرايتم إلى أثر النية كيف أنها تقلب العبادة إلى انحراف، وتقلب العمل الدنيوي إلى عبادة ؟ وأنا أؤكد لكم أن كل واحد منكم في اختصاصه، وفي مهنته، وفي حرفته يمكن أن يجعلها عبادة إذا كانت مشروعة، وإذا نوى بها كسب رزق حلال، وإذا نوى بها خدمة الناس، وإذا لم تمنعه من أداء فرض أو واجب أو طاعة أو مجلس علم،

ويؤكد هذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى رجلاً يصلي:

**قال : يا فلان، من يطعمك ؟ قال : أخي، قال : أخوك أعبد منك،**

الذي يعمل أشد عبادةً لك، وأنت تعبد الله في المسجد، في النهار أخوك أعبد منك، من هنا

يقول سيدنا علي :

### قيمة المرء ما يحسنه

لك مصلحة، لك مهنة، لك حرفة تتقنها، تكسب منها رزقاً حلالاً، تنفق على نفسك، على عيالك، ترفع رأسك، يدك هي العليا، هذا المطلوب .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اِعْتِدَاءٍ، أَوْ عَرَسَ عَرَسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اِعْتِدَاءٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

[ أحمد ]

إنسان أشاد بناء، سمعت عن شخص بأحد المدن التي تعاني من غلاء السكن أشاد بنائين، كل بناء أربعة طوابق، كل طابق أربع شقق، وقال : هذه لن أبيعها، هذه سأؤجرها لشباب على وشك الزواج، وحدد أجراً معقولاً أقل من نظائرها بكثير، ستر اثنتين وثلاثين أسرة، وأنا أقول لكم : حينما قال الله عز وجل :

وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَانِكُمْ

[ سورة النور : ٣٢ ]

هذا أمر، أمر ندب، يعني الأب والأم أولياء الشباب والشابات، أو أولياء الأمر هذا الأمر موجه إليهم، فمن المفروض علينا، أو واجب علينا أن نسهل الزواج عن طريق تسهيل أساسياته، وأول أساسياته المنزل، فهذا عمل طيب، عمر بنائين، وجهزهم، وأجرهم أجاراً بسعر معقول، وقال : هذه لن أبيعها، ولكنني سأؤجرها لشباب مقبل على الزواج، هذا المجتمع إذا لم يتعاون على حل مشكلات أبنائه لا يحبه الله عز وجل، والدليل قال تعالى :

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

[ سورة المائدة : ٢ ]

تعاون على البر والتقوى، البر صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، والحديث المعروف، إذا صلاح الدنيا مطلوب، يكون في بيوت للسكن، الشباب لا يشكو أزمة سكن مثلاً، فلما يقدم الإنسان شيئاً بنية طيبة، تصور إنساناً يعمر بنائين، متاعب الرخص، متاعب الإحضارات، تأمين الحديد، تأمين الرمل، العلاقة مع العمال، مع البنائين، البلاطين، إنجاز مواعيد، إنفاق، متاعب، خلافات أحياناً، كله عبادة، مادامت النية أن يخدم الناس، أنا سمعت من السلف الصالح يقولون : لما يضع المفتاح بدكانه يفتح الغلق، يقول : نويت خدمة الناس، هذا البائع فتح هذه الدكان ليخدم بها الناس أولاً، وليقتات من عمله ثانياً، فلما يغفل الإنسان عن هذه النية يصير عمله لا معنى له، وأحياناً الحياة تستهلك الإنسان، يأكل، ويشرب، وينام، ويعمل، ويذهب، ويأتي بلا معنى، أما النية فتعطي العمل هذه الصفة العالية، النية تضيء على العمل اليومي معنى العبادة .

حتى لو تزوج الإنسان قال عليه الصلاة والسلام :

### وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ

[مسلم عن أبي ذر]

أي في المتعة سلك الطريق المشروع، وترك الطريق المنهي عنه، هذا عمل صالح .  
أخذت فكرة عن المسلمين من قبل غير المسلمين، أنهم كسالي، اتكاليون، يعني همتهم هابطة، يستسلمون للأقدار من دون سعي، من دون عمل، من دون نشاط، الذي أراه أن هذا الموقف أو هذه الصفات ليست صفات للمسلمين إطلاقاً، اسمعوا لحديث الشريف،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ

[أحمد]

قامت القيامة، النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نغرس غرساً، نحن ما عندنا ازدواجية، دنيا وآخرة، لا، الدنيا من أجل الآخرة، والآخرة من أجل الدنيا، ليس هناك ازدواجية، ولا خطان متوازيان، خط واحد، فإذا أتت عمرك في سبيل الله، إذا راعيت مصلحتك في سبيل الله، إذا أدبت واجبك في سبيل الله فهو عبادة .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ

[البخاري]

الزراعة عمل شريف جداً، لأنك تقدم للناس أقواتهم، وكلما كثر الإنتاج رخص الثمن، وعم الرخاء، لماذا؟  
قال عليه الصلاة والسلام :

### الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ

[ابن ماجه عن عمر بن الخطاب]

لأن الجالب يسر الأمور، البضاعة وجدت، فلما وجدت هبط سعرها، فعم الرخاء، وأقول لكم : التاجر المؤمن إذا قل ربحه، وانتفع الناس جميعاً ببضاعته يفرح، وغير المؤمن إذا نزل السعر ينزعج جداً، يقول : هذا السعر لا يعطي ربحاً وفيراً، فلذلك المؤمن يتمنى أن ينعم الناس، وأن يعم الرخاء، ولو قل ربحه، لأنه يحب الناس، وغير المؤمن يتمنى الربح الوفير، ولو على حساب الجمع الغفير .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ

[البخاري]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا  
أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ

[ البخاري ]

صار الدين كل حياتك، كل نشاطك، عملك، بيتك، مصروفك، مادام في معرفة بالله واستقامة على أمره،  
وتطبيق لمنهجه،

لكن هنا ينشأ سؤال : هذه النية العالية من أين تأتي ؟ أين تباع ؟ إذا كان عندنا هذه النيات العالية صار طعامنا  
وشرابنا ولقائنا وعلما وكسب مالنا كلها صدقات، من أين هذه النية العالية ؟ هنا المشكلة،  
مرة سألت إنسان طبيياً، قال : يا طبيب علمني كيف تكتب هذه الوصفات، وجده عملاً مربحاً، خمسون زبوناً،  
كل واحد خمسمئة ليرة، عنده إيكو، وعنده تخطيط، خمسمئة إيكو، ومئتا ليرة تخطيط، سبعمئة معاينة، خمسون  
زبوناً، خمسون ألف ليرة كل يوم، قال له : علمني كيف تكتب وصفة ؟ حتى يعمل مثله، فتبسم الطبيب، قال له :  
هذه الوصفة محصلة علمي كله، ترجع، تأخذ الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، بمجموع مرتفع، وتدخل كلية الطب  
خمس سنوات، تدرس لتحصل على بورد خمس سنوات، تؤمن ثمن عيادة، وثمان أجهزة، ثم أعلمك أن تكتب  
وصفة، هذه الوصفة محصلة الطب كله،

والنية العالية محصلة الدين كله، يعني إيمانك بالله، إيمانك باليوم الآخر، إيمانك بأن الله كان عليكم رقيباً،  
إيمانك بأن الله مطلع عليك، إيمانك بعظمة الله، إيمانك بوعده، إيمانك بوعيده، إيمانك بالجنة، إيمانك بالنار، مجمل  
إيمانك مع مجمل إخلاصك، مع مجمل عملك يولد نية عالية، فمن السذاجة أن تقول : هذه النية العالية من أين  
أحضرها ؟ هذه النية العالية محصلة إيمانك كله، كل إيمانك يلخص بنواياك، فلذلك مستحيل من إنسان يكون إيمانه  
ضعيفاً تكون له نوايا عالية، لا يستطيع، إذا دعاك رجل للطعام، إن شاء الله الطعام طيب، طمئني، أكيد طيب، يريد  
أن يسمع منك مديحاً، لا شيء عنده، والله يحب أن يسمع منك مديحاً، يسمع ثناء، إذا عاون إنساناً، أنا فضلت عليك،  
عاونتك، يقول للناس، للأقرباء، للناس، يفضحه، النية العالية تحتاج إلى إيمان بالله حتى تعمل عملاً بصمت، تعمل  
عملاً من دون تلقي جزاء، تعمل عملاً، وترجو الله عز وجل، من السذاجة أن تقول : هذه النية العالية كيف أحصلها  
؟ هذه محصلة الإيمان كله، إذا صح إيمانك، وصحت استقامتك، وصح عملك الصالح عندئذ تصح مع كل هذه  
نواياك، وترتقي بها .

الحقيقة أن النية ترفع العمل إلى أعلى الدرجات، والنية السيئة تجعل من الأعمال الصالحة أعمالاً سيئة، أحياناً  
أعمال ظاهرها إنساني، مستشفيات خاصة، ترى الأسعار لا تحتل فرضاً، وزيادات، وتجاوزات، لم يعد عملاً  
إنسانياً، النية صارت واضحة، كسب المال بأسرع ما يمكن، فالنوايا المادية تقلب الأعمال الإنسانية إلى أعمال  
مادية، والنوايا تقلب الأعمال المادية إلى أعمال إنسانية .

إنسان ما تمكن أن يجاهد، جاء النبي عليه الصلاة والسلام ليحمله على ناقه، أو على دابة، فلم يجد النبي فتولوا، وأعينهم تفيض من الدمع،

قال تعالى :

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ

[سورة التوبة : ٩٢]

كتبت لهؤلاء أجر المجاهدين، مع أنهم لم يجاهدوا، أحياناً تنوي عملاً، بعد هذا لا يقع العمل، كأنك فعلته، هذا الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام،

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي عَزَاةٍ فَقَالَ :

إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ

[البخاري]

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم:

إن الله تعالى يكتب للمريض أحسن ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه، وللمسافر أحسن ما كان يفعله

في حضره

[الطبراني في الصغير عن أبي سعيد]

مادامت النية طيبة فالمسافر منع من أعمال طيبة، من حضور مجالس علم، من أعمال صالحة، كل هذه الأعمال التي كان يفعلها في حضره تكتب له في سفره، وكذلك المريض كل أعماله الصالحة التي كان يفعلها في صحته تكتب له في مرضه، هذه النية، فإذا اتجه الإنسان إلى النية، ومحصلها، ودقق، وفتش، وحاسب نفسه حساباً عسيراً، وتأمل نفسه، ما نيتي ؟ أحياناً الإنسان له نوايا مادية، فيغير كلامه تبعاً لهذه النوايا، فعليه أن يراقب نفسه، وإلا يقع في الحجاب مع الله عز وجل .

يقول عليه الصلاة والسلام :

من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض

[الحاكم في المستدرک عن أنس]

تأمل عملك، ماذا عندنا من حلول ؟ ما هي بعض الحلول التي تؤكد للإنسان أنه مخلص، منها كتمان العمل، أما إذا ذكر الرجل العمل لإنسان يحبه ليأمن به، أو ليشجعه فلا مانع، أما إذا شعر أنه لما يذكر عمله للناس يقع في الرياء والنفاق فعليه أن يكف عن ذكر عمله، إذا أدى صلوات معينة، أنفق إنفاقاً معيناً، صار له جولات معينة، وشعر أنه كلما قالها للناس يحس بالحجاب عن الله عز وجل، معنى ذلك أنه دخل إلى نفسه العجب، أو دخله الرياء، فالعلاج الفوري أن يسكت عن ذكر هذه الأعمال لتكون خالصةً لوجه الله عز وجل، إذا أنت أنفقت نفقة، وما ذكرتها لأحد، وجاءك الشيطان لا سمح الله، وقال لك : أنت منافق، معك حجة قوية، لماذا أنا منافق ؟ من الذي علم بهذه

الصدقة حتى أفتخر أمامه ؟ ما علمها إلا الله، كتمان العمل يؤكد لك أنك مخلص، غض بصرك عن محارم الله، وأنت في خلوة، أنت جالس في غرفتك، وثمة نافذة مفتوحة في البناء الثاني، وطلت امرأة، وأنت وحيد، حينما تغض بصرك عن هذه المرأة، ولا أحد يعلم ذلك في الأرض إلا الله، فهذا العمل يفسر قولاً واحداً بالإخلاص، إذاً عندك إنفاق، غض بصرك، مثلاً، عمل طيب، إصلاح من دون ضجيج، من دون تبجح، من دون ذكر، من دون تردد، هذا يعينك على أن تخلص، الآن إذا عملت عملاً صالحاً، وقابلت الناس بالسوء، وتألّمت ألماً شديداً جداً، فهذه علامة ضعف الإخلاص، مادمت قد فعلت هذا العمل لله، الله عز وجل اطع عليك، وعملك عنده محفوظ، فلماذا الحزن الشديد ؟ من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به، فربنا يمتحنك، ويجعل لك عملاً صالحاً، أما من تألم الرجل، بعد أن وقع عليه نقد شديد، وتبرم شديد، معنى أن هذا الإخلاص ضعيف، وإذا كمان في رضا، أو في شعور بالراحة رغم الانتقاد، معنى هذا أنك مخلص لله عز وجل، فلا تبال بكلام الناس،

ربنا عز وجل امتحنك، أراد أن يجعل من قصتك قصة بين الناس، هذه مشيئة الله عز وجل، هل الإفك قليل ؟ الإفك صبر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، والسيدة عائشة صبرت، فأَيّ امرأة إلى يوم القيامة يلوك الناس حديثها بأفواههم، وهي بريئة فلها في السيدة عائشة أسوة حسنة، ربنا عز وجل جعل الأنبياء يمثلون كافة النماذج البشرية، سيدنا نوح ابنه عاق، ابنه عاص، والذي عنده ولد على غير مستواه فلا يتألم كثيراً، سيدنا لوط زوجته ليست مؤمنة، فالذي عنده زوجة سيئة فله في سيدنا لوط أسوة حسنة، وإذا كانت الزوجة مؤمنة ولها زوج فاسق فاجر فلها في السيدة آسية أسوة حسنة، فرعون كان زوجها،

قال تعالى :

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

[سورة التحريم]

أنبياء كانوا فقراء، أنبياء كانوا ملوكاً، أنبياء كانوا أصحاباً، أنبياء مرضوا، أحياناً حتى على مستوى الصحابة، هناك صحابي غني، وصحابي فقير، وصحابي مات شاباً، وصحابي مات في سن متقدمة، فربنا جعل نماذج الأنبياء كلها أسوة حسنة لنا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ

[مسلم]

لذلك:

القلب بيت الرب



والحديث القدسي :

### عبدى طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة

تقريباً الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام أن نستنبط كما يقول علماء النفس من قلوبنا، أن نستنبطها كلما تحركنا حركة، انظر إلى نفسك، قد تقول : أنا لا أعرف، أقول لك : بل تعرف، والدليل قال تعالى :

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ

[ سورة القيامة ]

أنت تعرف ماذا تريد من هذا العمل ؟ ما دمت تعرف فصحح، وقوم نفسك، وقوم اعوجاجك دائماً، قال الله تعالى :

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

[ سورة البينة : الآية ٥ ]

العبادة ظاهرة، والإخلاص باطني، القلب مخلص، والجوارح مطيعة، هذا الدين، الإخلاص في القلب، والطاعة في الجوارح، الإنسان أحياناً لا يكفي أن يتقن الظاهر فلا بد من إتقان الباطن، أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانت علانيتهم كسرائرهم، أصحاب النبي تمثلوا بالإخلاص والورع، والفضائل، من دون مصطلحات جديدة، ونحن استخدمنا مصطلحات جديدة، ومضموناً فارغاً، فالعبرة أن نكون كما كان أصحاب النبي عليهم رضوان الله، فالإنسان عليه أن يسعى لا لإصلاح ظاهره، بل إلى إصلاح ظاهره وباطنه، لأن ظاهره ينتهي عند الموت، لكن باطنه يبقى معه إلى أبد الأبد، هذه النفس هي جوهر الإنسان، هي ذات الإنسان، وما هذا الجسد إلا ثوب خارجي يخلع عند الموت، فإذا كانت العناية كلها بالمظاهر المادية فعندنا مشكلة كبيرة، عند الموت سوف تكشف أن الذات ليس في المستوى المطلوب، أما الإنسان فعندما تكون عنايته بباطنه كظاهره، عندنا أسرار تقول: الآن المسلمون ألف مليون، وفي رقم سمعته ألف و مئة تقريباً، رقم مذهل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

وَلَا يُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ

[أحمد عن ابن عباس]

إذا كان من المسلمين ما يزيد عن اثني عشر ألفاً فلن يغلبوا في الأرض، معنى ذلك أننا في ضعف الإخلاص، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكْلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلِكُنْكُمْ عُثَاءٌ كَعُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيُنَزَّرَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ

[أبو داود عن ثوبان]

حب الدنيا يبعدك عن الإخلاص، والنية الطيبة التي تقلب العمل المادي إلى عبادة، وأما النية الخبيثة فتقلب العمل العبادي إلى معصية،

**منقول عن:** شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - الدرس ( ٠٣٢ - ١٢٧ ) : أحاديث شريفة عن بواعث العمل.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٠٦-٠٩ | [المصدر](#)